مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

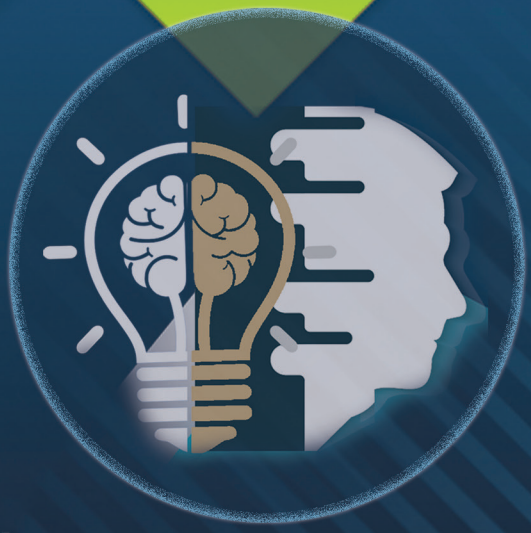

السنة الثامنة، العدد 25
المجلد الأول، مارس 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل " آرسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين –من مختلف بلدان العالم– من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دوليًّا، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصـــدر المجلة ورقيًّا حســـب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشـــر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونيًّا لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط النشر في مجلة العلوم الإنسانية وإجراءاته

أولاً: شروط النشر

أولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانيًا: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. فـــي حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاًّ لبحثه .
3. فـــي حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل– وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة فـــي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

رابعا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل كما هو في دليل المؤلفين لكتابة البحوث المقدمة للنشر في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل وفق نظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك
7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (1000) ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكّمين اثنين؛ على الأقل.
10. في حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. في حالة رفض أحد المحكمين للبحث، وقبول المحكم الآخر له وكانت درجته أقل من 70%؛ فإنّه يحق للمجلة الاعتذار عن قبول البحث ونشره دون الحاجة إلى تحويله إلى محكم مرجح، وتكون الرسوم غير مستردة.

13. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث
14. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم. وكذلك لها الحق في رفض البحث دون إبداء الأسباب.
15. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.
16. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.
17. لا ترّد البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر
18. يحق للمجلة أن ترسل للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.
19. لهيئة تحرير المجلة الحق فـــي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنّياً.

المشرف العـــام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد بن إبراهيم السيف

هـيئـــة الـتحريـــر

رئيس هيئة التحرير

أ. د. بشير بن علي اللويش

أستاذ الخدمة الاجتماعية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. سالم بن عبيد المطيري
أستاذ الفقه

د. وافي بن فهيد الشمري
أستاذ اللغويات (الإنجليزية) المشارك

أ. د. منى بنت سليمان الذبياني
أستاذ الإدارة التربوية

د. ياسر بن عايد السميري
أستاذ التربية الخاصة المشارك

د. نواف بن عوض الرشيدي
أستاذ تعليم الرياضيات المشارك

د. نوف بنت عبدالله السويداء
استاذ تقنيات تعليم التصاميم والفنون المشارك

د. إبراهيم بن سعيد الشمري
أستاذ النحو والصرف المشارك

محمد بن ناصر اللحيدان
سكرتير التحرير

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايع

جامعة الملك سعود – مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان – قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود – التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت – الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين – الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس – سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود – الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة – فلسفة التربية

تجليات العزلة في رواية «نُزل الظلام» لماجد الجارد: قراءة في سلطة الآخر والمكان

Revelations of Isolation in the Novel «Nozol Aldhalam» by Majid Al-Jard: A Study of the Authority of Others and the Place

د.أريج بنت عثمان العميريني
أستاذ الأدب والنقد المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
https://orcid.org/0009-0004-2978-0888

Dr. Areej Alomirini
Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language and Literature, College of Humanities and Social Sciences, King Saud University, Kingdom of Saudi Arabia

(تاريخ الاستلام: 2024/10/16، تاريخ القبول: 2025/01/28، تاريخ النشر: 2025/02/15)

المستخلص

يعد هذا البحث محاولة لقراءة الخطاب السعودي المعاصر، الروائي منه خاصة، قراءةً نقديةً، من حيث الوقوف على ملامح المكان الذي كان سبب الألم للذات، وعاملٍ كاشفٍ للشخصيات الروائية، لذلك قامت هذه القراءة على حشد الدلالات وتكثيفها، فتتجاوز القراءة السطحية الظاهرية إلى قراءة أعمق وأشمل؛ كي ترصد بنية متوارية حول البنية السطحية الظاهرية للنص، فإذا تتبعنا هذه البنية في الرواية وجدناها تشغل مساحة واسعة في النص الروائي، وتتجلى هذه البنية في ثيمة «العزلة». ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن بنية «العزلة»، واكتشاف دلالاتها المتنوعة، والتركيز على الكيفية التي تُظهر بنية «العزلة» في النص السردي، وآلية عملها، مع التركيز على العلاقات الأساسية التي تقيمها شخصيات العمل الروائي. وينتهج هذا البحث المنهج الموضوعاتي؛ وذلك بالوقوف على ثيمة «العزلة»، فضلًا عن إفادتها من المنهج النفسي، وأسلوب الوصف والتحليل. تلخصت أهم النتائج في تناول البحث نصًا من أدب العزلة، أظهر موقف المجتمع والآخر من فئة مهمشة منبوذة، لا نعلم عن عالمهم أو علاقاتهم الكثير، هي فئة «المكفوفين»، الذين مورس عليهم أشد أنواع القسوة والتسلط، هذا التسلط والعنف من المجتمع والآخر جعل من ثيمة «العزلة» ثيمة رئيسة في المنجز السردي رواية «نُزل الظلام»، وما هذا البحث إلا مفتاح لـ»أدب العزلة» أمام الباحثين الساعين إلى تطوير الساحة الأدبية السعودية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: العُزلة، قسوة المكان، اضطراب العلاقة مع الآخر، التمرد على السلطة.

Abstract

This research paper was an attempt to critically read contemporary Saudi literature, particularly novels, by focusing on the aspects of place that have been a source of pain for the self and a revealing factor for the characters. This reading thus aims to gather and intensify meanings, moving beyond superficial readings to a deeper and more comprehensive analysis, in order to uncover a hidden structure beneath the surface structure of the text. If we follow this structure in the novel, we find that it occupies a significant space within the narrative and is revealed in the theme of «isolation.» This research aims to uncover the structure of «isolation,» explore its diverse meanings, and focus on how the structure of «isolation» is revealed in the narrative text and its mechanism. It also emphasizes the fundamental relationships established by the characters in the novel.

The approach is considered Thematic, focusing on the theme of «isolation,» and it also draws on psychological methods as well as descriptive and analytical techniques. In conclusion, the research examines a text from the literature of "isolation", highlighting the society›s and others› attitudes towards a marginalized and ostracized group—the «blind.» This group is subjected to extreme cruelty and oppression, and this oppression from society and others has turned the theme of «isolation» into a central theme in the novel «Nozol Aldhalam». This research serves as a key to «literature of isolation» for researchers aiming to advance the contemporary Saudi literary scene

Keywords: Isolation, Harshness of Place, Disruption of Relationships with Others, Rebellion against Authority.

للاستشهاد: العميريني، أريج بنت عثمان. (2025). تجليات العزلة في رواية «نُزل الظلام» لماجد الجارد: قراءة في سلطة الآخر والمكان. *مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل*، 01 (25)، 02 (24)، ص127 – ص140.

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث

Funding: There is no funding for this research

مقدمة:

موضوع هذا البحث الموسوم بـ»تجليات العزلة في رواية (نُزل الظلام)» لماجد الجارد، قراءة في سلطة الآخر والمكان»، هو محاولة لقراءة الخطاب السعودي المعاصر، الروائي منه خاصة، قراءةً نقديةً، من حيث الوقوف على ملامح المكان الذي كان سبب الألم للذات؛ إذ يشكّل المكان مكوّنًا أساسيًا وحيويًا تفاعليًا من مكونات الرواية؛ إذ يبرز بصفته «ملفوظا سرديا، قائما بذاته، وعنصرًا من بين العناصر المكونة للنص السردي» (بحراوي، 1990)، فقد أصبح المكان مكونًا حيويًا حسيًا تفاعليًا نتيجة التطور الذي شهدته الرواية السعودية بعد أن كان «مجرد خلفية أو ديكور أو وعاء محايد تدور فيه أحداث الرواية» (الشنطي، 2004)، دون ظهور أي تفاعل له مع العناصر الأخرى؛ إذ تحول إلى مكونٍ فاعلٍ يسهم إسهامًا فاعلًا في تشكيل الأحداث، وعاملٍ كاشفٍ للشخصيات الروائية، من خلال التأسيس لعلاقة تبادليه بينه وبين العناصر الأخرى؛ إذ يعرّي كل وحدًا منهم الآخر ويُظهره؛ لذلك قامت هذه القراءة على حشد الدلالات وتكثيفها، فتتجاوز القراءة السطحية الظاهرية إلى قراءة أعمق وأشمل، ومنحَتِ النص أبعادًا جمالية وأنساقًا دلالية مختلفة؛ كي ترصد بنية محتجبة ومختبئة ومتوارية حول البنية السطحية الظاهرية للنص، فإذا تتبعنا هذه البنية المحتجبة في رواية (نُزل الظلام) وجدناها تشغل مساحة واسعة في النص الروائي، وتتجلى هذه البنية في ثيمة «العزلة».

من هنا يسعى هذا البحث إلى الكشف عن بنية «العزلة»، واكتشاف دلالاتها المتنوعة؛ ومقاربتها مقاربة موضوعاتية بوصفها ذاتًا منعزلة، وذلك عبر دلائل منتشرة في النص السردي، يُنظر إليها على أنها إحالات غير مباشرة على «العزلة».

كما يسعى البحث أيضًا إلى التركيز على الكيفية التي تُظهر بنية «العزلة» في النص السردي، وآلية عملها ضمن عناصر النص مجتمعة، مع التركيز على العلاقات الأساسية التي تقيمها شخصيات العمل الروائي في البناء الدرامي للأحداث.

دُرست «العزلة» في هذا البحث وَفق مستويات تناولتها مباحث الدراسة، حيثُ اعتمدتُ في كل مبحث التقديم بجزء نظري ثم التطبيق، فكانت الدراسة التطبيقية أكبر وأوسع؛ لتوضيح واستيعاب تجليات العزلة في الرواية موضوع الدراسة؛ لذلك قُسمت الدراسة كالتالي: تمهيد، يتبعه المبحث الأول: تناول الحديث عن سلطة الآخر، وقد اعتمدتُ في توضيح سلطة الآخر من خلال قسمين هما: الأول: العزلة واضطراب العلاقة مع الآخر الحميم، والثاني: العزلة واضطراب العلاقة مع الآخر المختلف.

وفي المبحث الثاني: تناولت الدراسة سلطة المكان، فجاء القسم الأول منه عن: عنف المكان، والثاني: التمرد على السلطة والخروج من العزلة. وفي الخاتمة أبرزتُ أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وأعقبتها بقائمة مصادر هذه الدراسة ومراجعها.

وتعود أهمية دراسة «العزلة في رواية نُزل الظلام» إلى أنها تندرج تحت اسم «أدب العزلة»، الذي ظهر حديثًا في الأدب السعودي، وفي الرواية السعودية خصوصًا، وأدبُ «العزلة» مبادرة نوعية بدعم من وزير الثقافة السعودي الأمير بدر بن عبدالله بن فرحان، الذي دعا المواطنين إلى تنمية مواهبهم الإبداعية في أثناء البقاء في المنزل مدة الحجر الصحي الإجباري بسبب جائحة كورونا عام 2019م، فهي مبادرة للكتاب تحت اسم «أدب العزلة». وتعود أيضًا أهمية هذه الدراسة إلى أن موضوع «العزلة» في رواية «نُزل الظلام لماجد الجارد» لم يقف عليه الدارسون من قبل، فقد دُرست الرواية من جوانب مختلفة، ولم يكن ذكر «العزلة» في هذه الدراسات إلا ذِكرًا عابرًا، فلم أقع على دراسة نقدية مستفيضة عن الموضوع السردي «العزلة» إطلاقًا، وإنما عثرتُ على مجموعة مقالات متفرقة أوجزها فيما يأتي:

المقالة الأولى: «الشخصية المركبة في الرواية السعودية: شخصية (الأعمى) في رواية نُزل الظلام أنموذجًا» لهلالة بنت سعد الحارثي (الحارثي، 2018)، وقد وقفتْ الحارثي في هذه المقالة على أن الشخصية الروائية أهم المكونات السردية، وركزت الدراسة على الشخصية المركبة، وطريقة تقديمها للقراء، وقدمت شخصية الأعمى على أنها شخصية مركبة شديدة التعقيد في بنائها، وعلاقة هذه الشخصية المركبة المعقدة ببقية الشخصيات الأخرى، وليس المقصود من الشخصية المركبة الشخصيةَ المحوريةَ أو البطلَ بل الشخصية التي تحتاج في بنائها ورسمها إلى جهد مضاعف في التقاط ملامحها وأبعادها المختلفة، وكأنها شخصيتان في شخصية واحدة على حد قول الحارثي. ووقفت الحارثي على مفهوم الشخصية المركبة، وشخصية الأعمى في النصوص الروائية وعلى البناء المورفولوجي، والمكان وبناء الشخصية.

المقالة الثانية: «العمى.. أفقًا تخييليًا رواية نُزل الظلام لماجد الجارد أنموذجًا» للدكتور مجدي الخواجي (الخواجي،2021)، وقد اهتمت الدراسة بالعوامل المعرفية والثقافية التي تشكل طابع «الرواية السير ذاتية»، وتأثير عاهة العمى على عناصر السرد ومقوماته، وتمثلات العمى والمكان في الرواية.

المقالة الثالثة: «التشكيل الفني والسردي في رواية نُزل الظلام لماجد الجارد دراسة نقدية تحليلية» لساري الزهراني (2019)، وهي دراسة نقدية تحليلية لعنوان الرواية والغلاف، والفضاء النصي، مرورًا بالشخصيات المحورية والثانوية والزمان، والمكان، من خلال الوصف والتحليل للتقنيات السردية الموجودة في الرواية.

المقالة الرابعة: «رواية نُزل الظلام لماجد الجارد: دراسة سيميائية» لسامي الثبيتي (2017)، وقد تناولت هذه الدراسة المنهج السيميائي/البصري مركزًا على العلامة والدلالة السردية لها من ناحية الغلاف واللون والزمن والمكان والشخصيات بصورة عامة.

المقالة الخامسة: «البولوفونية والكرنفالية في رواية نُزل الظلام لماجد الجارد» لإيمان الميخلد (الميخلد، 2018)، وقد

ركزت على الأصوات المتعددة ذات الطابع الحواري على نطاق واسع، وكل صوت قد يكون له رؤية أو أيدولوجية مختلفة من شخصية لشخصية أخرى، واستعرضَت الميخلد بإشارات يسيرة الزمان والمكان في الرواية.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات السابق ذكرها، على الرغم من دراستها للمكان في رواية «نُزل الظلام»، درسَتِ المكان بصفته مكوّنًا أساسيًّا من مكونات النص السردي، لا بصفته مكان «العزلة» الذي هو موضوع دراستي.

أما منهج الدراسة فمن الصعب التقيد بمنهج واحد، فـ»لا يوجد في الحقيقة ناقد يحمل نفسه على طراز واحد فقط، أو منهج واحد فحسب، وكل الفروع تتبادل نتائجها فيما بينها» (إمبرت، 1991).

ومن هنا سأنتهج لدراستي تجليات «العزلة» في رواية «نُزل الظلام» المنهج الموضوعاتي؛ وذلك بالوقوف على ثيمة «العزلة» في سلطة الآخر والمكان، وعلاقة ذلك بالمكونات المختلفة لشخصيات الرواية، فضلًا عن إفادتها من المنهج النفسي، وأسلوب الوصف والتحليل.

وتشير الموضوعاتية في معناها البسيط إلى أنها هي التي تنطلق من الذات المبدعة، معتمدة في التحليل على التأويل المرتبط بنفسية المبدع، وارتباطها بعملية الإدراك والشعور التي تؤثر في إخراج النص (لحميداني، 1990)، وهو منهج يهدف إلى «القبض على المكونات الدلالية الأساسية للنص، وذلك بإحصاء الوحدات المعجمية وتصنيفها حسب الدلالة التي تحيل عليها» (الطالب، 2000).

أما (الموضوعاتية) أو (الثيمية) فتدل على (الموضوعات) الكامنة في الأثر الأدبي، و(الثيمة) (THEME) هي الجذر لهذه الموضوعات، وهذا الجذر يتصف بصفات محددة هي: القرابة السرية في العلاقات الخفية التي تنسجها عناصر (الموضوع)، والثبات الذي يعني أن الموضوع هو النقطة التي يتشكل حولها العالم الأدبي، والدينامية الداخلية في العلاقات الجدلية بين عناصر الموضوع وغيره من الموضوعات، في النص الأدبي (أبو هيف، 2002).

والموضوعاتية تذهب إلى أن «مفهوم (الموضوعة) أو (THEME) أو الغرض هو مفهوم عام يشمل المادة اللغوية للعمل الأدبي الكلّي الذي يمكن أن يكون له موضوع أو غرض معين، وفي الوقت نفسه فإن كلّ جزء من أجزائه يحتوي أيضًا على موضوعة أو غرضه الخاص به» (حبار، 2002).

أما اتجاه التحليل الوصفي في النقد الأدبي المعاصر فهو يهتم عادةً بالكشف عن القيم الجمالية التي تنبثق من داخل العمل الفني. ويعمد هذا الاتجاه من النقد إلى فحص البناء الداخلي للعمل الفني مع ربطه بالمؤثرات الخارجية، وسأدرس سلطة الآخر والمكان في هذه الرواية دراسةً نقديةً مجملةً، من خلال اختيار نماذج معينة أرى أنها هي النماذج الأكثر تمثيلًا «للعزلة».

والمنهج النفسي يلتقي مع الأدب في العديد من التصورات، بل ويخدم بعضها بعضًا، فإن العلاقة بين التحليل النفسي والأدب علاقة عضوية باعتبار أن التحليل النفسي للأدب يكشف اللاوعي، وأن الأدب يكشف المكنونات النفسية وكلاهما يفيد من الآخر ويسهم في فهم العلاقات الناشئة بينهما منذ لحظة الإبداع (عيسى، 2003)، واتجه منهج التحليل النفسي إلى ثلاثة اتجاهات في دراسته للأدب، هي: الإبداع، والمبدع، والمتلقي.

تمهيد:

هذا البحث الموسوم بـ»تجليات العزلة في رواية (نُزل الظلام)» لماجد الجارد، قراءة في سلطة الآخر والمكان»، هو محاولة لقراءة الخطاب السعودي المعاصر، الروائي منه خاصة، قراءةً نقديةً، من حيث الوقوف على ملامح المكان الذي كان سبب الألم للذات؛ لذلك تقوم هذه القراءة على حشد الدلالات وتكثيفها، فتتجاوز القراءة السطحية الظاهرية إلى قراءة أعمق وأشمل، وتمنح هذه القراءة النص أبعادًا جمالية وأنساقًا دلالية مختلفة؛ كي ترصد بنية محتجبة ومختبئة ومتوارية حول البنية السطحية الظاهرية للنص، فإذا تتبعنا هذه البنية المحتجبة في رواية (نُزل الظلام) وجدناها تشغل مساحة واسعة في النص الروائي، وتتجلى هذه البنية في ثيمة «العزلة». وثيمة «العزلة» لم تظهر صراحة في بنية السرد الروائي ببنيتها اللغوية، بل كان على المتلقي فهمُ المسكوت عنه، واستحضارُها من قراءته للرواية، عبر دلائل منتشرة في النص السردي، يُنظر إليها بوصفها إحالات غير مباشرة على «العزلة»، فعلى رغم اختلاف حكايات شخصيات الرواية، وثقافتهم، وبيئاتهم، إلا أنهم توحدوا في موضوع واحد وهو «العزلة» الجبرية، المفروضة عليهم، والقسوة التي وقعت عليهم دون خطيئة أو جرم فعلوه سوى أنهم أصيبوا بـ»مرض العمى» حيثُ أصبحوا كفيفين، يلفهم ظلام فقد البصر، وظلام وظلم المجتمع وذويهم لهم.

والمونولوج نوع من أنواع تقنية الحوار السردية، وكان هو تقنية الحوار الطاغية في معظم رواية «نُزل الظلام»، فحضرت المتواليات المونولوجية التي كشفت انفعالات الذات وتأزمها) الجبرين، 2018) «في نظام اعتباطي إذ تنتقل بسرعة من الماضي البعيد إلى القريب ثم إلى الحاضر، ومن هذا إلى ذلك، عامدة بهذا إلى تكسير كرونولوجية المحكي» (سعيد، 2000)، وفي هذه الكرونولوجية يحضر ضمير المتكلم «أنا» ليتذكر ماضيه الخاص، دون تبرير لهذا التذكر؛ ليكون هذا المحكي أقرب إلى الاعتراف المحموم)الجبرين، 2018)، فكشفت شخصيات الرواية عن الشعور الباطني من خلال المونولوج غاضّةً الطرف عن الكثير من الأحداث المهمة، تاركةً للقارئ استنتاجها، واعتماد الروائي في ذلك على الإضمار من خلال الرجوع الزمني أو تقدمه، معتمدًا على ذاكرة الشخصية وعقلها الباطني (هلال، 1973).

تحضر رواية «نُزل الظلام» بوصفها روايةَ أشخاص لا روايةَ

أحداث، فنجد ملامح ودلالات العزلة في الرواية منذ بداية السرد إلى نهايته، لا من حيث إنها مشكلة نفسية؛ إذ تعيش الذاتُ شعورَ الوحدة، لا من حيث إن العزلة عزلةٌ اختيارية بقصد الخلوة مع النفس، وهي بالتأكيد تختلف عن العزلة؛ لأن الخلوة مع النفس سلوك اختياري جميل؛ فمن معانيها: خلا الرجل من الهم، أي: عاش سعيدًا، وخلا باله: كان ناعم البال مطمئنًا، وخلا إلى العبادة: تفرغ لها، اختلى بنفسه، أي: انفرد في خلوة، وحُبّب إليه الاختلاء (عمر، 2008)، فنجد أن كل معاني الخلوة تدل على أنها اختيارية ذاتية غير مفروضة على الذات، عكس «العزلة» الواقعة على شخصيات رواية «نُزل الظلام» عزلةً جبريةً مفروضةً غيرَ اختيارية للذات، هذا الأمر أفضى بالنص السردي إلى «أن تنزع أردية الوقائعية الفضفاضة وغلالات التلوين الوردي الرومانسي؛ لترتاد مجاهل الذات والمجتمع عبر الاستنطاق المتعدد المنظور لوقائع تداخلت فيه القيم والسلوكيات والمواقف» (برادة، 1996).

ويمكن ملاحظة ثيمة «العزلة» متمثلةً معاني مختلفة، مثل: الألم، وسلطة المكان، والحزن، والكآبة، والتهميش، والعقاب، والتيه النفسي، والانفصال الاجتماعي، وقسوة الآخر الحميم/الأب، والآخر المختلف المتمثل بالمعلم، والطبيب، كل ذلك حفّز على استمرار التخييل السردي في الرواية من خلال التقاط التشظي، والمعاناة والآلام التي وقعت على شخصيات الرواية.

انطلاقًا من ذلك؛ نجد أن العزلة في اللغة من: عزل، عزلًا، فهو عازل، والمفعول معزول. وعزل مريضًا عن الأصحاء: فصله وأبعده، معزل: اسم مكان يُعزل فيه المرضى عن الأصحاء (عمر، 2008)، وتعزّل: نحا جانبًا فتنحى. والعُزلة: انعزال النفس، واعتزلت القوم، أي: فارقتهم وتنحيتُ عنهم (ابن منظور، 1999)، فالعزلة تحمل معنى الانفصال والتنحي (مجمع اللغة العربية، 2004، ص.599)، وتعني العزلةُ في أبسط معانيها أنها: الانقطاع عن الأهل والأصحاب، فتعاني الذات نتيجةَ ذلك الوحشةَ، والخوفَ، والشعورَ بالحزنِ، والإحباطَ وعدمَ الأمانِ، والضعفَ، وقلةَ الثقةِ بالنفس (البشير، 2023).

وإذا تتبعنا ثيمة «العزلة» في رواية «نُزل الظلام» بدا لنا أن ذوات الشخصيات تعيش عزلة مفروضة عليها، نزعتها من المجتمع ومن ذويها بالقوة؛ بسبب إصابتها «بمرض العمى»، وكأنه جرم أو خطيئة ارتكبوها، تستوجب النفي، والإبعاد؛ لذلك نرى محاولة الروائي كشْفَ حياة نوع من المهمشين في المجتمع ألا وهم «فئة المكفوفين» أو كما يسميهم في الرواية «العميان»، وهم المعزولون عزلًا مفروضًا عليهم، عزلًا جبريًّا بسبب «المرض»، في محاولة منه لكشف ما يحدث خلف الأسوار؛ إذ جعلنا نشاركهم أيامهم وظلامهم في النُزل/مكان العُزلة. إن «العمل الروائي هو صورة للحياة الواقعية؛ إذ تكون مهمة الروائي هي أن يدفعنا إلى الاقتناع بالعالم الذي يقدمه والشخصيات التي يصنعها» (بحراوي، 1990).

يقول الروائي عن روايته: «الرواية لم تعتنِ بخرق مثلث التابوهات: الدين، السياسية، الجنس، بل ذهبت لتابو آخر يتمثل بالثقافة الاجتماعية السائدة نحو فئة العميان بطرحها قضية هذه الفئة المهمشة التي تقبع في الأطراف» (الحارثي، 2018).

الروائي ماجد سليمان الجارد:

- روائي وقاص سعودي، وُلد عام 1975م، وقد حصل على بكالوريوس علم الاجتماع من جامعة الملك عبدالعزيز عام 1998م.
- حاز على جائزة الأمير سعود بن عبدالمحسن أمير منطقة حائل التي ينظمها أدبي حائل عام 2012م عن روايته «نُزل الظلام».

صدر له:

- رواية «نُزل الظلام» من مؤسسة دار الانتشار العربي، لبنان، عام 2010م.
- رواية «سولو» في أبريل عام 2014م، عن مؤسسة دار الانتشار العربي.
- له مقالات نقدية عديدة نُشرت في بعض الصحف والمجلات الخليجية.
- قدم دورات تدريبية معتمدة لتعليم القراءة بلغة برايل.
- قدم مجموعة من المحاضرات في جمعية إبصار ومقابلات في إذاعة MBC وقناة العين وقناة الإخبارية (الجارد، 2010م).

قراءة في الرواية:

تحضر رواية «نُزل الظلام» بوصفها قراءة لقضية اجتماعية، إنسانية؛ إذ اشتركت وتوحدت شخصيات الرواية فيها بخصوصية واحدة وهي «مرض العمى»، واجتمعوا في مكان واحد على اختلاف بيئاتهم، وثقافتهم، في معهد للمكفوفين الذي رُمز له في الرواية بـ»النُزل»، وهو مكان «العُزلة» المفروضة عليهم جميعًا، اجتمعوا في سردية محكية العزلة من خلال تناوب أصواتهم، ووصفهم لحياتهم اليومية الشاقة، فنتج عن ذلك نص سردي كشف عن العزلة المفروضة على المكفوفين، في مكان بعيد عن أهلهم، في النُزل، وتفاصيل حياتهم، التي هي بؤرة المحكي الحقيقية.

وتحكي الرواية ثلاث حكايات، كل حكاية يمثلها شاب، هؤلاء الشباب هم: إبراهيم، ومحمد، وخالد، وهم «عميان»، كل شاب يستدعي ذكرياته، من بداية ولادته، فوأد الطفولة من قِبل والديهم وذويهم، بعد معرفتهم أن طفلهم أعمى، مرورًا بنشأتهم الصعبة، وعدم قبول المجتمع لهم، فيكونون عبئًا ثقيلًا على أهلهم، وهمًّا كبيرًا، يتخلصون منهم من خلال نزعهم من حياة المجتمع، والأهل، والأقارب، وإرسالهم بعيدًا عنهم، يتحدثون عن هذه الحياة الجديدة التي وجدوا أنفسهم فيها بلا حول لهم ولا قوة، ولا رأي، حيثُ حياتهم في «العزلة» الجبرية في النُزل/»معهد النور

المكفوفين» الذي يؤمن مستقبلهم برأي ذويهم والمجتمع «إننا نعي قبل الوقت ونفكر بالوظيفة قبل الزمن المحدد لها، إننا تجاوزنا مرحلة كاملة من أعمارنا وقفزناها قفزًا حتى تحولنا لكبار بأجسام صغيرة، نمارس الانتظار بدلًا من اللعب، التفكير بدلًا من الضحك، التحايل بدلًا من الصدق» (الجارد، 2010، ص.74)، فعزلوهم هناك ولم يعرفوا أنهم بهذا العمل كسروهم، وهمّشوهم، ومارسوا عليهم أنواعًا من العقاب في هذا المكان/النُزل وكأنهم اقترفوا ذنبًا، أو اقترفوا جرمًا، وتحدثوا كذلك عن حياتهم في النُزل مكان العزلة، وعن شقاوتهم وأحلامهم وآمالهم.

تحضر «العزلة» في رواية «نُزل الظلام» بوصفها ثيمة رئيسة تقوم عليها الرواية، ولما كانت فئة المكفوفين هم الفئة الضعيفة والمستهدفة في الرواية، كان من الطبيعي أن تقع عليهم العزلة. ويقف المكفوفون، أو من سماهم الروائي «العميان» في مواجهة مصدرين رئيسيين للعزلة، هما: الآخر في حياة الكفيف، والمكان/النُزل.

وسأقف على هذين المصدرين بالتحليل والتتبع لهما، مقسّمةً البحث إلى مبحثين، هما: سلطة الآخر، وسلطة المكان.

المبحث الأول: سلطة الآخر

ظهرت سلطة الآخر في رواية «نُزل الظلام» من خلال «العزلة» التي عاشها ويعيشها المكفوفون، أو كما سمّاهم الروائي «رهبان العتمة»، أو «العميان»، من خلال بناء سردي يصور واقعهم، وعزلهم القسري عن والديهم، وإخوتهم، وذويهم، والمجتمع، ومحاولاتهم الدؤوبة إلى العصيان والثورة على واقعهم المؤلم، فيكشف انفعالات الذات وتأزّمها، وحياة التشظي التي يعيشونها.

تشّكل «العزلة» في رواية «نُزل الظلام» صورة شاملة لمجموعة من الشخصيات المتألمة المتشظية والمملوءة بفوضى الوجود؛ إذ تعيش قلقًا وأزمة من الآخر، هذا الآخر المتمثل في حياتها بصورة الأب، ومدير النُزل، والعميد عبدالرؤوف، والعميد الفكهاني، والفرّاش سيد، والمشرف الصحي، وهذه الأزمة التي تعيشها الشخصيات استدعتها من حياة المعاناة معهم؛ لذلك حرص الروائي على تصوير «العزلة» التي فُرضت عليهم، والمعاناة، وألم هذه الفئة المهمشة من المجتمع «الكفيفين»، من خلال الاهتمام بتفاصيل واقعهم الخارجي، وتأمل العالم الداخلي لهم، بهدف الكشف عن أفكارهم، وصراعاتهم، وخفاياهم، بما يكتنفهم من غموض ومخاوف وقلق، ومشاعر، وانفعالات؛ لأن الشخصية بميلها إلى البوح للقارئ عمّا يجول داخلها، والكشف عن حالها الآني؛ أمطمئنة هي أم قلقة؟ أمستقرة أم طموحة؟ أمتفائلة أم متشائمة؟ تكون قد جذبَتِ القارئ وشدّته تجاهها، وشيّدتْ في الوقت نفسه جسرًا من الثقة بينها وبين المتلقي، الأمر الذي يجعلها محببة إليه، وخالدة في ذاكرته (كورمو، 1945).

ويحضر اهتمام الروائي «الجارد» بالعزلة التي وقعت على شخصيات روايته من «الآخر» على امتداد الرواية، ذلك بوصفها بنية تبئيرية للمحكي السردي؛ فالرواية متعددة الشخصيات؛ لهذا برزت «العزلة» في الرواية بوصفها ظاهرة؛ لذلك برزت بروزًا ينبئ عن ذات مأزومة، يتحول فيها الصراع إلى صراع بين الذات وذاتها؛ بسبب الآخر، فرسم صورة الشخصيات وقدمها من خلال الوقوف على العالم الخارجي، والكوامن الباطنية والاعتماد على ما يدور في النفس (الجبرين، 2018).

وتحضر الشخصيات في الرواية بوصفها ذواتٍ؛ إذ تتعامل الرواية مع التوتر والقلق والاضطراب الذي يسكن الذوات المكفوفة، وطريقة مواجهتها للحياة والضغوطات الاجتماعية، من خلال ما تحمله الذات المكفوفة من صفات ومميزات ظاهرة أو باطنة.

العزلة واضطراب العلاقة مع الآخر الحميم

ترسم العزلة في «نُزل الظلام» صورة شاملة للذات المتألمة، والمتأزمة، في بناء سردي من خلال الحديث عن واقعة حقيقية أو خيالية من قبل واحد أو اثنين أو أكثر من الساردين، وذلك لواحد أو اثنين أو أكثر من المسرود لهم (برنس، 2003)، فتخلق الذات المكفوفة حوارًا يقوم على كشف المعاناة التي تعيشها مع الآخر الحميم، وحالة القلق والفوضى التي هي فيه، وتستمر برصد العزلة لتلك الأزمة التي تعيشها؛ إذ الظلام من الداخل، وظلام من الخارج، عبر سردية انفعالية من بداية الرواية ترصد العزلة واضطراب العلاقة مع الآخر الحميم المتمثل بالأب، حيثُ أوغلَ مشاعر العزلة والألم والمعاناة في شخوص الرواية/المكفوفين، لأمر لا يد لهم فيه، وكأنهم فعلوا جرمًا أو ارتكبوا خطيئة فعُزلوا، وهو إصابتهم «بمرض العمى»، الأمر الذي أفضى إلى معاناتهم من القريبين قبل البعيدين، بداية مع الآخر الحميم/الأب الذي تحضر العزلة منه في حياة شخصيات الرواية جميعهم، ويتوحدون من خلال الشعور بقسوة هذا الآخر الحميم عليهم، ويُعزلون في مكان واحد بذريعة مصلحتهم التعليمية ومستقبلهم، وتتبدى قسوة الآخر الحميم/الأب في اضطراب العلاقة بينه وبين ابنه منذ الولادة، مرورًا بالطفولة، وعدم تقبله لمرض الابن بفقدان البصر «العمى»، الأمر الذي أفضى بشخصيات الرواية إلى أن تعيش في واقع مؤلم ومتأزم مسلوبة الحرية. فالشخصية الأولى في الرواية «إبراهيم» وصدمة الآخر الحميم/الأب عند علمه بمرض ابنه إبراهيم في طفولته وعدم تقبل الآخر الحميم/الأب لهذا الأمر. رصدت الرواية همهمات ابن يتألم ويعاني بسبب عزل الآخر الحميم/الأب له، وعدم قبوله إياه، ابن ينزف مشاعر وأحاسيس دون مراعاة من الآخر الحميم، أنهكه المرض، وأورثه العزلة والخيبة: «شعرت أمي أن شيئًا يعتري نظري... توسلت إلى أبي أن يذهب بي إلى الطبيب وقال بصوت متحشرج: ما نحن فيه مصيبة، كم عقدت عليه الآمال بأن يكون عضدي وسندي ومن ثم أفاجأ بعماه!! (الأعمى لا يقدر على صنع شيء). أتمزق مرارًا وألما لتبخر أحلامي وتحطيم زورقي الصغير، لا في أول رحلة إبحار، بل قبل أن يكتمل بناؤه» (الجارد، 2010، ص.13).

تمثّل هذه الخطية السردية جزءًا متعبًا محزنًا في حياة الذات المكفوفة/إبراهيم، تحاول فيه الذات إشراك المتلقي في واقع تفترض

أن فيه أزمة وخللًا، يقوم على رضا الأب عن ابن لن يسعده في مستقبل الأيام، أو يحقق أمانيه فيه بأن «يكون عضدي وسندي». يشي ذلك ببداية العزلة التي وقعت بين الذات/إبراهيم والآخر الحميم/الأب، ففي الوقت الذي ينبئ واقع الذات عن شخصية مأزومة متألمة غير فاعلة، يُفترض أن يحضر الآخر الحميم/الأب بوصفه السند والمساعد والمساند في هذه الحياة، لكن الأمر بدا غير ذلك؛ بل حضر الآخر الحميم في حياة الذات من خلال التعامل بقسوة والتهميش والعزل.

ويستمر المونولوج السردي في رصد ملامح العزلة في المشاهد الدراميّة بين الذات والآخر الحميم/الأب «والد إبراهيم»، فيقف على انفعال الآخر المتجسد في صراع مونولوجي بينه وبين ذاته، راصدًا الهم الكبير الذي وقع عليه، واصفًا إياه بالمصيبة «ما نحن فيه مصيبة»، والهم الثقيل الذي يقاسيه: «كست ملامح الخوف وجه البراءة، لا يعلم لماذا جيء به إلى هنا. حاولت أن أطمئنك وأشعرك أني بقربك، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه فأنا بحاجة لمن يطمئنني، أخذت أمعن النظر في الطبيب لأستشف الأمل من بين تقاسيم وجهه الجامد... ابنك يعاني من ضعف شديد في العصب البصري... لا يوجد الآن حل لهذه المشكلة... ضمني إلى صدره وحمل معي عمى بغيضًا وهمًا ثقيلًا» (الجارد، 2010، ص.18).

يظهر هذا وعي بالواقع المأزوم؛ إذ تعيش الذات معاناة وألمًا وحزنًا من الآخر الحميم/الأب، فصنعت من نفسها باثًّا ومتلقيًا في آنٍ؛ تعلم الذات أن الآخر الحميم عزلها من خلال معاملته إياها، فالحقوق مسلوبة، والاختيارات ممنوعة: «لا أعرف سوى الانتظار فلا أمدّ يدي لطعام حتى أسمع كلمة ادنُ من الطعام وفي الملاهي لا ألعب إلا بما يختار لي ولا أتحرك حتى يقبض على يدي فأنقاد طيّعًا» (الجارد، 2010، ص.24).

يشي هذا الحوار القابع في أعماق الذاتِ بذاتٍ غارقةٍ بالتأمل الداخلي لماهية وجودها؛ فتصف الذات طفولتها، والقسوة التي عاشتها من خلل سلب أبسط حقوقها عند الأكل، أو اللَّعِب، أو التحرك، الأمر الذي من شأنه التأثير في المتلقي وإبداء تعاطفه مع الذات. ثم تكشف الذات/إبراهيم طريقة العزلة القسرية التي فرضها عليه الآخر الحميم/الأب من دون أي حق اختيار للذات، في مشهد حواري سردي ترصد فيه مشاعر الآخر الحميم تجاه هذه الذات، والحل الذي أوجده الآخر الحميم/لابنه الأعمى وهي «العزلة» في النُزل/معهد المكفوفين: «همّ أبي باحثًا عن مقعد أقتعده بمدرسة. ولكن ابنه الأعمى قد ضاقت به مدارس الطائف وتعجز عن منحه مقعدًا واحدًا لتعليمه... ذهبت إلى مكة المكرمة، كنت طوال الطريق أمنّي نفسي... أقرأ اليافطة الخضراء «معهد النور للمكفوفين». استنشقت كمية كبيرة من الهواء... لفتني أن جميع الطلبة يتناولون صنفًا واحدًا من العصير والكيك. بالقرب من الباب استوقفني طفلًا لا يكاد يتجاوز الثامنة يبكي ولم يلتفت أحد لبكائه، أمسكت وجهه الصغير بين يدي.

– ما يبكي يا حبيبي؟!

ازدرد دموعه: تركني أبي هنا!!... بمجرد أن ركبت سيارتي عائدًا كاد قلبي أن يقفز فرحًا، فالهم الذي شغل أيامي قد زال بعثوري على هذا المعهد (الجارد، 2010، ص.24-27).

ترسم الذات في هذا المشهد وعيًا تجاه حقيقة وجودها في حياة الآخر الحميم/الأب، فقد مثلت الذات في حياة الآخر الحميم/الأب «الهم الذي شغل أيامي»، بسبب مرض العمى الذي كان هو الفاصل والعازل بين الأب وابنه، وعدم قبوله له في حياته، فكان هذا الابن كالهم الجاثم على صدره؛ الأمر الذي دفع بالأب إلى البحث عن حل لهذه المصيبة، وبمجرد العثور على الحل «استنشقت كمية كبيرة من الهواء» و«كاد قلبي أن يقفز فرحًا»؛ فقد كان الحل الذي وجده هو عزل ابنه في منطقة خارج الطائف وهي منطقة «مكة المكرمة»، في نُزل/«معهد النور للمكفوفين» بحجة مصلحته التعليمة، وعلى الرغم من معرفة الآخر الحميم/الأب أن هذا المكان قاسٍ، بدليل أن هذا الطفل الصغير «لم يلتفت أحد لبكائه»، ومثله سيكون ابنه طفلًا حزينًا، كئيبًا مأزومًا، فإنه لم يلتفت لمشاعر ابنه ولم يهتم ولم يبال به، المهم أن يكون بعيدًا عنه فقط. نظرة الآخر الحميم هي نظرة المجتمع الذي ينظر إلى المكفوفين على أنهم عبء ومسؤولية عليه، أو قُصّر تحت وصايته، لذلك يُصنف تعامل المجتمع معهم بأكثر من نوع: القبول وإنكار وجود أي أثر للعاهة، والتدليل والحماية المسرفة، والإعراض المقنع، والنبذ الظاهر (حمزة، 1956).

لقد صور هذا المشهد مستوى العزلة والخذلان والخيبة التي تعيشها الذات من الآخر الحميم.

ونلمس الأمر نفسه عند الشخصية الثانية واضطراب علاقتها منذ الولادة بالآخر الحميم/الأب وهو «محمد»، الذي وُلد فاقدًا للبصر «أعمى»، إلا أن ظلام وقسوة الآخر الحميم/الأب أعظم من ظلام الحياة: «إنني حين ولدت نظر والدي لتقلب عيني من الأسود إلى الأبيض ومن يومها تحولت العلاقة بيني وبينه إلى علاقة صامتة، أشعر به يلحظني ويتابعني من بعيد دون أن يتدخل بتصرفاتي، والدي لم ينسج لنفسه حلمًا ورديًا يعيش به ويتطلع إليه ولم يلجأ للأطباء ويطارد سراب الشفاء وعودة البصر لعيني، كنت في قلب لوحة الحياة، وكان والدي خارج لوحتي التي أرسمها» (الجارد، 2010، ص. 66).

يشي هذا المشهد السردي بحزن وألم واضحين، يعتريان الذات/محمدًا تجاه الآخر الحميم/الأب وتجاه نفسها في الوقت ذاته. وتحضر الذات في مشهد من الاضطراب والقلق في علاقتها من الآخر الحميم، تقع تحت سلطة الآخر قويًا كان أم ضعيفًا، وتعيش وسط عالم من الترقب والقلق؛ إذ الشعور بالألم والحسرة المفضيين إلى تشظي الذات، «إبراهيم لماذا أنت اليوم صامت وتبكي!! ألأن أباك قد ذهب؟ لا تبكِ فأنا لم أرَ أمي أو أبي منذ تركوني هنا» (الجارد، 2010، ص.44).

يصور الذات/محمد للمتلقي بهذا المشهد صورة عامة عن

علاقة الفوضى التي وقعت بينه وبين الآخر الحميم/الأب، وعدم قبوله إياه منذ عَلم «بعماه»، ونبذه، وعزلة في «النُزل»، فأفصح عن علاقةٍ قَلِقةٍ أفضت إلى «تشظي الذات...مع شخصيات مؤثرة في تكوينها الفكري والعقلي والمبدئي» (موزون، 2015).

العزلة واضطراب العلاقة مع الآخر المختلف

تشكل «العزلة» في رواية «نُزل الظلام» البناء السردي لموضوع الدراسة؛ إذ ترصد انفعالات شخصيات الرواية المكفوفة من الخارج والداخل في علاقتها مع ذاتها ومع الآخر المختلف في آن، كما يشارك في تنامي الحدث في المحكي السردي وحيويته، ويقدم صورةً للذات المتشظية المبعثرة المأزومة، كل ذلك عبر محكية داخلية في المنجز السردي؛ إذ يتجاوز نسخ الواقع الخارجي، وتجسيد حضوره، إلى العناية والاهتمام بدواخل الشخصية، ونظرتها إلى أعماقها ووجدانها؛ لأن العزلة التي تعيشها شخصيات الرواية أظهرت أفكارها وعواطفها وطبائعها الإنسانية، وعن طريق الحوار فيما بينها كشفت عن وعيها للعالم الذي تعيش فيه.

وإذا ما وقفنا على حضور العزلة وقلق العلاقة مع الآخر المختلف/ المتمثلة بالمعلمين، والعميد عبدالرؤوف، والعميد الفكهاني، والمشرف الصحي، والفراش سيد؛ وجدناها تكشف عن دواخل الشخصية، وعمق المعاناة للشخصيات المكفوفة من الآخر المختلف، وأثره فيها على المدى القريب والبعيد من خلال رصد مشاهد القلق والتشظي والألم الذي تعيشه شخصيات الرواية مع الآخر المختلف، الذي كان من المفترض أن يكون الحضن اللين البديل لعائلة قاسية لهؤلاء المعزولين بلا ذنب اقترفوه، غير أنه أيضًا لم يتوانَ عن التعامل معهم إلا بالعقاب والشراسة والقسوة، وكأن الحياة لم تكتفِ بأن تعاقبهم بعزلتهم الجبرية في «النُزل»، وحرمانهم من الحياة الاجتماعية الطبيعية في كنف أسرة وأخوة ومجتمع. تتعدد مشاهد الآخر المختلف وعلاقة الاضطراب والقلق مع شخصيات الرواية؛ إذ تفصح المشاهد عن العزلة التي تعيشها الشخصيات، والتهميش، والتشظي الداخلي لها جراء التعامل الذي تتلقاه من الآخر المختلف، الذي أوغل في عزلة الشخصيات عن الحياة الطبيعية، وجعل الحياة في «النُزل» حياة سجن، ومعاناة، بلا ذنب اقترفوه، تبدأ علاقة شخصيات الأكفّاء مع الآخر المختلف في النُزل مع العميد عبدالرؤوف، فالعلاقة هي علاقة سجان مع المسجونين، يكيل لهم قسوة وتنمرًا في كل تعامل معهم «العميد عبدالرؤوف من طرف خفي يشاهد المنظر. –يا وسخ جاك وجع في بزبوز أفاك! علىء التوب يا معفن» (الجارد، 2010، ص. 45).

يرصد هذا المشهد العلاقة المضطربة بين الآخر المختلف/ عبدالرؤوف وسائر المكفوفين في النُزل، فهو يتعامل معهم بتسلط وقسوة، ونظام لا يحيدون عنه، على الرغم من صغر أعمارهم، أطفال لم يرحمهم أهلهم ومجتمعهم، عزلوهم عنهم مع أُناس كان من المفترض أن يحملوا أمانة الحضانة والتعليم، لكن يا للأسف أخلوا بهذه الأمانة تحت اسم النظام، «قبل أذان العصر تستيقظ الأسرة لا على عذب الأذان، بل على قرع خيزرانة العميد التي لا تفارق يده... يزأر العميد عند باب الأسرة: كل واحد على كتاب» (الجارد، 2010، ص. 46)

تفصح العديد من المشاهد عن النظام الذي يستخدمه الآخر المختلف الذي يعتمد على التهديد، والغضب والانفعال، ويتساوى لديه الجميع في التعامل الأمورُ الصغيرةُ والكبيرةُ، من يسرق يضرب بالخيزرانة، ومن يلعب يضرب بالخيزرانة، كذلك الكل متساوٍ عند أدنى خلل في النظام «ينادي العميد من خلف مكتبه ليعلن بدء النظر في المحكمة العلنية: إبراهيم تعال يا وسخ... طارق يا معفن تعال! يحضر إبراهيم وطارق وفجأة نسمع تلويحة الخيزرانة في الهواء. افتح إيدك بتسرأ من إبراهيم مصروفه الصبح ليه؟ ... وأنت بتسحب الكرسي ساعة الغداء ليه؟... محمد، محمد بمجرد نطقه لا سمي تفصدت كفي عرقًا... تسمرتُ بعيدًا عنه حتى لا تطالني خيزرانته الرشيقة... تعال أرّب قبض على أذني. صحيح الي سمعته. أيوه صحيح أنا ضربته بالحقيبة... خمس خيزرانات على اليمين وزيها على الشمال. ثم أعود ذليلًا تتناثر في أذني أصوات الخيزرانات» (الجارد، 2010، ص. 48).

وتتعدد مشاهد العزلة بين شخصيات الرواية المكفوفين والآخر المختلف/العميد عبد الرؤوف كثيرًا، خاصة تلك المشاهد التي يُنزِل فيها العميد على الشخصيات الإهانة والإذلال في تعامله معهم، ويتمثّل ذلك في القلق والخوف والترقب التي يعيشها المكفوفون مع العميد «كان إبراهيم أول الواصلين ركل الباب بقوة قائلًا أنا الأول. رد العميد من على مكتبه: يا وسخ افتح الباب بإيدك لا تفعل مثل الجحش لا يستخدم إلا رجله» (الجارد، 2010، ص. 59)، «تعال أشوف أظافرك وأشم شعرك.. يا وسخ بتربي الشياطين تحت أظافرك» (الجارد، 2010، ص. 72).

يظهر الحوار بين الآخر المختلف/العميد عبد الرؤوف وشخصيات الرواية الأزمةَ التي تعيشها الشخصيات: الألم، والإذلال، والاستنقاص في أبسط حقوقها كمناداتهم بأسمائهم، لكن الآخر المختلف فهو يتفنن في مناداتهم بأكره الأسماء؛ تحقيرًا لهم: «يا وسخ» «يا معفن»، كما يُظهر الحوارُ الشعورَ بالحسرة، والإذلال الذي تعيشه الذات في الرواية: «أعود ذليلًا تتناثر في أذني أصوات الخيزرانات».

أمام هذا الوقوف المكبوت تجاه الآخر المختلف، والذي هو أقرب إلى الاعتراف المكشوف منه إلى الاختباء وراء أعذار واهية، تكشف الذات المكفوفة لنفسها الفوضى التي وقعتْ فيها، والقلق والاضطراب اللذين هيمنا عليها، الأمر الذي حدا بها إلى الدخول في حوار قلق، يقوم على التساؤل عن تحوّل واقعها إلى واقعٍ غامض: «العقوبات تطال الجميع إن أخفق في تطبيق النظام فلا هوادة، يجب أن يسير كل شيء بدقة متناهية، هنا تقع تحت سطوة السلطة الشاملة، هنا تسجن ولا تعلم ما الجرم» (الجارد، 2010، ص. 73).

وإذا ما وقفنا عند الآخر المختلف/معلمي النُزل واضطراب علاقتهم مع شخصيات الرواية المكفوفين، حيثُ تعميق العزلة والنفي في نفوسهم، من جرّاء التعامل بالإذلال والقهر، فالمعلم في مركز القوة والسلطة، وهؤلاء الأطفال في مركز ضعف وعجز: «يُحضر المعلم صندوقه الخشبي يضعه على طاولته المعدنية ينفض الصندوق القديم ليُسمعنا صوت المسامير التي بداخله. ودومًا يفتتح الدرس بي. –يا محمد.

– ها.

– لا تقل ها الحمار الذي يقول ها.

يضع سبابتي اليمنى بين أصابعه الكبيرة الخشنة ويمررها على خلية برايل «هذه اسمها نقطة أولى وهذه ثانية».

فيسألني وهو يضغط بأنملتي على رأس المسمار.

– ما اسم هذه النقطة؟؟

– وحدة. فيصرخ: يا بدو.

– وحدة هناك في الديرة عند البدو، هنا بمكة اسمها نقطة أولى.

وفي إحدى الحصص صرخ تلميذ ثم تواصل بكاؤه. كان المعلم مصرًّا على أن يقرأ بسبابته وحين عجز المعلم كوى أصبع الطفل بولاعة السجائر!» (الجارد، 2010، ص. 52).

تكشف الذات المكفوفة/محمد في هذا المشهد السردي المأساةَ التي يعيشونها هم الطلابَ مع الآخر المختلف/معلميهم، كان من المفترض أن يحضروا للتعلم والاستفادة، من قبل معلمين حملوا أمانة التعليم، والمتعلمين في هذا المكان، إلا أن الواقع يخالف ذلك؛ فقد خانوا الأمانة، فصار الحصول على العلم والمعرفة لا يكون إلا بالترهيب والتخويف والإفزاع؛ لذلك تستدعي الذات كل انفعالاتها، التي تتجسد في الألم والهمّ والمعاناة المريرة التي تعيشها في هذا النُزل.

تستحضر الذات المكفوفة الآخرَ المختلف في هذا المشهد للعزلة التي عُزلوا فيها دون أدنى رحمة بهم، فيعكس وعيهم بالواقع المأزوم صورةً لذاتٍ مأزومة تصنع من نفسها باثًّا ومتلقيًا في آنٍ؛ تواجه الذات هذا الواقع وهي على علم تام بوفوضوية وجودها، « فيصرخ: يا بدو. –وحدة هناك في الديرة عند البدو، هنا بمكة اسمها نقطة أولى». تمثل العزلة في هذا المشهد الحواري للذات مشهدًا قلقًا متوترًا؛ إذ تظهر فيه الذات المكفوفة خاضعة للآخر المختلف/المعلم، وتستجدي العطف والرحمة: «صرخ تلميذ ثم تواصل بكاؤه»، في الوقت الذي لم يكن يبالي بها أو بمشاعرها « كان المعلم مصرًّا على أن يقرأ بسبابته وحين عجز المعلم كوى أصبع الطفل بولاعة السجائر!».

الأمر نفسه نجده عند الآخر المختلف/المشرف الصحي والفرّاش سيّد، ومدير النُزل، فهذا المشرف الصحي لا يبالي بمرضهم، ولا يهتم بهم، «منذ البارحة أتمدد في غرفتي الرطبة المكتومة، أغفو، أستيقظ، أتكئ، أجلس، أتقلب من جنب لجنب، الصمت يخيم من كل زاوية... لا زالت الحمى تلهب بدني وتلسع بسياطها مفاصلي، أنتبه على يد تفوح منها رائحة التبغ تتلمس جبيني وتتمتم: بالشفاء يا محمد! سقتني اليد جرعة دواء مر ثم وضعت في يميني علبة عصير كرتونية واختفت... اكتشفت أنه عصير التفاح الذي لا أحبه... ألصق أذني على الجدار لعلي استأنس بأنين أو تنهيدة وحيدة مثلي» (الجارد، 2010، ص. 55).

وتحضر العلاقة مع الآخر المختلف/المشرف الصحي من خلال تصوير إخلاله بالأمانة الصحية بهؤلاء المسؤول هو عن صحتهم؛ إذ يُفترض عند المرض تقديم أبسط حقوق للمريض وهي العناية والاهتمام به، إلا أن هذا الآخر المختلف/المشرف الصحي بالنُزل لم يؤدِّ هذه الأمانة، بل جعل الذات المكفوفة/محمد صريع الوحدة والألم، وهو غارق في ملذاته: «أنتبه على يد تفوح منها رائحة التبغ».

«يختفي العمداء إلا واحدًا منهم يبقى في غرفتنا يحرسنا. وعلى أتفه سبب ينفعل ويرشقنا من شباكه الصغير بأصوات لا تعبر إلا عن حبسه... أما بقية العمداء فهم يتسكعون ككلاب السكك بين أسواق مكة، ولا يظهرون لنا إلا ليلًا، يجتمعون في الأسفل، هات يالعب ظومنة، وقرقرة شيشة، وضحكات مجلجلة تتصاعد إلى نافذتي. والله أمكث ساهرًا طوال الليل حتى الفجر أتقلب على سريري أسمعهم وألعنهم» (الجارد، 2010، ص. 84).

تتوالى انفعالات الشخصيات المكفوفة في الرواية مع واقعها المرير؛ بسبب تعامل الآخر المختلف لها، بوصفه مصدرَ الهيمنة والتسلط، فعدم المبالاة، والإساءة النفسية المتتابعة من الجميع، تستمر من بداية الرواية حتى نهايتها، وتعكس بصور مختلفة شخصيات يشوبها القلق والتوتر وعدم الشعور بالانتماء، وشعورًا بالهيمنة التي تعكس العجز النفسي التي تعيشه الشخصيات، فيتبدد كل أمل لها بالانعتاق، وتنغمس في الانقياد المطلق لسلطة الآخر المختلف، والاستسلام لممارستها السلطوية؛ لذلك فإن «الشعور بالعزلة يجعل الإنسان يشعر أنه غريب متوحد لا وطن روحي له... وما دام أنه لم يشعر أنه في بيته، وفي عالم وجوده الحقيقي، فإنه لن يستطيع التكيف مع هذا العالم، وسيستمر بالشعور بأن عزلته سجن» (برديائف، 1960).

فالذي أفرز هذه المشاهد التي امتدت على طول الرواية هو الحزن والاكتئاب والحرقة التي تعيشها الذات المكفوفة، والحسرة؛ نتيجة انفصالها الاجتماعي عن والديها وإخوتها وذويها؛ بسبب العزلة الجبرية التي فرضها عليها الآخر الحميم، وعدم تقبّل الآخر المختلف لها واحتضانها باعتبارهم العائلة البديلة لهم.

المبحث الثاني: سلطة المكان

يُعد المكان عتبه سردية مهمه للولوج إلى النص السردي الروائي، ولا شك أن سلطة المكان الروائي تنبع من الأحداث ذاتها؛ فيكون بين المكان والشخصيات تأثير وتأثّر، ومن خلاله

تتشكل علاقة الشخصيات بعضها مع بعض ومع المكان نفسه.

تبحث الشخصيات في رواية «نُزل الظلام» عن الاستقرار والأمان والإنسانية التي فُقدت بسبب العزلة التي وجدت ذاتها فيها، فالشخصيات تعيش غربة في مكانها ووحشة؛ لذلك يؤسس الروائي مشاهد درامية من خلال مزج الأصوات وتعددها، ضمن نسيج نصي محكم كاشفًا عن ذوات قلقة متوترة، فتظهر «العزلة» من خلال الحوار والأحداث الخارجية السلبية، التي تنعكس على النص السردي، فتكون الذوات موسومة بالألم والمعاناة والحزن.

ويأتي الاهتمام بالمكان في رواية «نُزل الظلام»؛ لأنه «إحدى الركائز الأساسية لها، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجري وتدور فيه الحوادث، وتتحرك من خلال الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات وما بينها من علاقات... وهو نفسه المساعد في تطوير بناء الرواية، والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف» (محبك، 2001).

وتحضر ملامح «العزلة» في الرواية وتكشف عن المكان/النُزل؛ إذ إن «المكان لا يعتبر عنصرًا زائدًا في الرواية، فهو يتخذ أشكالًا ويتضمن معاني عديدة، بل قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله» (بحراوي، 1990، ص. 33)، فوقف الروائي على ملامح العزلة في الرواية من خلال كشف سلطة المكان لا من حيث هو مكان هندسي تدور فيه الأحداث فقط، بل من كونه مكانًا تخيليًا، يتجاوز الوصف الهندسي للمكان إلى وصف آخر، يملؤه بمعانٍ عديدة ودلالات مختلفة ليتحول المكان إلى فضاء روائي لا غنى عنه في بناء العمل الروائي فـ«المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانًا لا مباليًا، ذا أبعاد هندسية وحسب. فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز» (باشلار، 1984).

ينطلق الروائي في رواية «نُزل الظلام» من بداية الرواية بإبراز وكشف المعاناة التي تعيشها شخصيات الرواية؛ إذ الواقع والحياة متأزمان؛ نتيجة إصابة الشخصية بمرض «العمى»، وهو أمر لا يدَ لها فيه، فيصور الروائي من خلال المشاهد سلطة المكان/النزل المتمثل بمعهد النور للمكفوفين على هذه الفئة الضعيفة التي واجهت سلطة الآخر الحميم وعُزلت عن أهلها وذويها والمجتمع، إلى مكان سلطوي آخر بصورة أخرى، كشفه الروائي قبل البداية، من خلال العنوان «نُزل الظلام»، وكأنه ينبّه القارئ إلى أن خلف هذه الصفحات ظلامًا يكسو حياة «العميان»، فهم «موثقون لقيدين لا انعتاق منهما. الأول مظلم، والآخر النزل الشره» (الجارد، 2010، ص. 83).

عنف المكان

تبرز «العزلة» في رواية «نُزل الظلام» من خلال ملامح سلطة المكان وعنفه وقسوته، بداية من العنوان؛ لهذا يُعدّ العنوان «أهم العتبات النصية، فهو يكشف عن مضمون الكتاب والمكان الذي يتعين في السرد بوصفه فضاء لأحداثها» (المفرح، 2017)، ولم يكن العنوان مجرد اسم للرواية، ولا هو اختيار لكلمات عشوائية، بل إنه يحتوي على دلالة رمزية عميقة، ونجد عند قراءتنا للعنوان أنه من كلمتين، الكلمة الأول: نُزل، والكلمة الثانية: الظلام. التلقي الأولي للعنوان قد يحيل على قراءتين: إما أن يكون النُزل بشكله الظاهر، ومعناه الحقيقي موضوع الرواية، وتدور أحداث الرواية حوله، وإما أن يكون النُزل هو البيت الذي عاشت فيه الشخصيات، حيث الألم، والتأزم، والقسوة، والعزلة الجبرية؛ لذلك يحمل عنوان الرواية دلالتين هما: الدلالة الأولى نُزل: ويقصد به المكان الذي عُزل فيه بسبب مرضه، أطلق عليه «نُزل» دلالة على عدم الاستقرار فيه، لإن معنى «النُزل» هو الذي يطلق على المكان الذي يهيأ للضيف، أو على الفندق الذي يكون على الطريق خارج المدينة.

نجد أن الروائي لم يطلق عليه لفظة (بيت)؛ لأن البيت مكان الاستقرار هو ركننا في العالم، وعالم الإنسان الأول... مرتبط بالذكريات والملامح الأمومية (باشلار، 1984، ص. 36) «عبر صالة بيتنا تنبعث من المطبخ رائحة شواء أمي. أسحب كرسي وأجلس أنظر إلى أمي»، «لحظة مغادرتي للنزل يوم الأربعاء ونشوة تقافزي صاعدًا الدرج إلى بيتنا، وأخي الصغير... وقبلات أمي لي، ذكرياتي وحرقتي تطوح برأسي... أبيت ليلة السبت لاعنًا النزل ومن فيه» (الجارد، 2010، ص. 104-105)، إن الشخصيات عندما تجترّ حياتها الماضية تكون ذكرياتها جميلة من خلال (البيت) الذي يحمي أحلام اليقظة، والحالم، ويتيح للإنسان أن يحلم بهدوء، فذكرياتنا عن البيوت التي سكنّاها نعيشها مرة أخرى كحلمٍ يقظةٍ، فالإنسان بدون البيت يصبح كائنًا مفتتًا ومحطمًا (باشلار، 1984).

أما الدلالة الثانية التي يحملها العنوان فهي: الظلام، وهي دلالة على مرضه الذي أصابه بالعتمة، ومعنى الظلام هو: انعدام الضوء، وذهاب النور؛ حيثُ الظلام يحيطه من كل الجهات ويحجب عنه الحياة، تائها في ظلام داخلي وخارجي (عمر، 2008).

عندما يتحول الأمن والاستقرار «البيت» إلى اضطراب وقلق وخوف «النُزل»؛ تعزل الشخصيات فيه عزلًا جبريًا قسريًا غيرَ مخيرة؛ بسبب إصابتها بالمرض «العمى»، وتتحول الحياة إلى ظلام وإقصاء من المجتمع ويَظهر تأثير العزلة على الشخصيات؛ لذلك عندما وصف الروائيُ المكانَ كان يصف أزمة ومعاناة الشخصيات من خلال سلطة وعنف المكان (بحراوي، 1990، ص. 30).

ويحضر النُزل/معهد النور للمكفوفين «رهبان العتمة» في النص السردي بوصفه بيئة يملؤها القلق والاضطراب والخوف، وتنمّطها الذات وتوجزها في فضاءات الخيبة والعجز والانكسار، الأمر الذي حوله إلى مكان منفر غير مستقر ولا حاضن لها، لتعيش الشخصيات حياة المعاناة والتأزم النفسي، وذلك من أول عتبة من عتبات نُزل الظلام، «نحن رهبان العتمة فإننا لم ندخل

الدير باختيارنا، ولن نعرف له فترة واضحة نتطهر إثرها وننعم بعدها ببريق الضوء. أوقفتنا الأقدار على أول عتبة من عتبات نُزل الظلام ودفعتنا إلى الداخل دفعًا حيث وجدنا أيامنا تنساب مع تيار لا ينتهي إلا في قرار دير العتمة القسري» (الجارد، 2010، ص. 11).

كشفت الشخصية الكفيفة/رهبان العتمة في هذا المشهد عن وعيها بالواقع المأزوم الذي وضعت فيه قسرًا، فاستدعت الشخصية الكفيفة انفعالاتها، وصراعاتها النفسية، التي تجسدت في الألم والمعاناة والحزن من المكان/ نُزل الظلام، حيثُ السطوة وعنف المكان من أول عتبة من عتبات النُزل/معهد المكفوفين.

وتتأمل الشخصية المكفوفة/رهبان العتمة وتمعن في التأمل، لتضيق بمرارة واقعها من عنف المكان/النُزل الذي عُزلت فيه دون إرادتها: «لم ندخل الدير باختيارنا»، وكأنهم اقترفوا ذنبًا/مرضَ العمى ولن يستطيعوا أن «نتطهر إثرها وننعم بعدها ببريق الضوء» ولا أن يُشفوا من المرض ليعودوا إلى بيوتهم وأمنهم واستقرارهم فهم «في قرار دير العتمة القسري». تحاول الشخصية الكفيفة في هذا الحوار النفسي الداخلي أن تفصح عن ذاتها المتألمة المتحسرة على نفسها؛ إذ كان لديها أزمة لأنها تعيش في عزلة قسرية فَرضت عليها مناقشة وتحليل ما حدث مع المكان المتسلط/النُزل، وعنفه، والألم الذي تسبب به، وعرض ذلك في تسلسل محمّل بأثقال الضعف والخيبة وقلة الحيلة؛ لذلك نجد أن «المكان يتفاعل مع الشخصيات داخل العمل الروائي، ويسعى إلى تكوينها فكريًا ونفسيًا ووجدانيًا، ويؤثر في انتقالها من حال إلى حال، كما أنه يسهم في خلق المعنى داخل الرواية» (عبيدي، 2011).

«منذ ميلادي لم أنم إلا في غرفتي... كيف أبتعد؟؟! أيعقل أن ينمو طفل بعيدًا عن حضن أمه الموجودة؟! أيسهل أن أودع في سكن داخلي يحول نزيله إلى رقم يحتل خانة بين السجلات، تُصرف له ثلاث وجبات محددة الكمية والزمن، يقع تحت سطوته ينام ويستيقظ ويدرس بصرامة لا يُلتفت لكونه طفلًا تتحكم به رغبات وشهوات بريئة. وليت القائمين على السكن نساء فتلجئني أمي إلى غريزة الأمومة عندهن، بل المربون رجال أغراب خشنون» (الجارد، 2010، ص. 33).

يفسر هذا المشهد القلَقَ الذي تعيشه الشخصية الكفيفة تجاه المكان الذي ستنتقل إليه، والعزلة التي فُرضت عليه بإقصائه وإبعاده عن «غرفتي»، «حضن أمه»، عن حريته، يتساءل هذا الطفل الكفيف بحزن وأسى وحسرة شديدة على نفسه «أيسهل أن أوْدَع في سكن داخلي يحول نزيله إلى رقم يحتل خانة بين السجلات»، هذا المكان/النزل لن «يُلتفت لكونه طفلًا»، بل يعلم يقينًا إنه سيعامل بخشونة، وقسوة؛ لأن «المربون رجال أغراب خشنون».

يُظهر هذا الحديث النفسي الأزمةَ الكبيرةَ التي تعيشها الشخصية الكفيفة من قلق وخوف وعدم الشعور بالاطمئنان والارتياح، فهذا المشهد يمثل جزءًا مؤرقًا في حياة الشخصية الكفيفة، جعلها تحاول مشاركة المتلقي واقعًا تفترض أنه مختلّ؛ يقوم على عزل الإنسان لأنه أُصيب بالعمى في سكن داخلي «تُصرف له ثلاث وجبات محددة الكمية والزمن، يقع تحت سطوته ينام ويستيقظ ويدرس بصرامة لا يُلتفت لكونه طفلًا».

ويرصد هذا الحديث النفسي حديث الشخصية الكفيفة مع نفسها؛ فيعكس فوضوية حياتها وتأزمها؛ من عنف المكان/ النزل الذي تعيش فيه، والعزلة التي فُرضت عليها، فلا حياة فيه، ولا حرية لها في أي شيء؛ فـ«النُزل يضبط كل حركة وسكنة، النوم، واليقظة، والاستحمام، وتفريش الأسنان. بل حتى زمن تناول الوجبة وفق وقت محدد، فإن فرغت من الأكل لا تنصرف حتى ينتهي آخر الماضغين. أو إن كنت تمضغ على مهل وتأن يأمرك العميد بعدم التلكؤ: يا أنت كل كويس ولا تأكل مثل الجاموسة استعجل كلنا بانتظارك. والعقوبات تطال الجميع إن أخفق في تطبيق النظام فلا هوادة، يجب أن يسير كل شيء بدقة متناهية هنا تقع تحت سطوة السلطة الشاملة، هنا تسجن ولا تعلم ما الجرم. وإني متيقن لو ضُمت الفصول مع النزل في مبنى واحد لحرمونا دفء الشمس، أليس هذا سجن؟ وما الفرق بينه وبين السجن؟ هنا بين النزل والمعهد توأد الطفولة!! أما يكفي أنها حجبت من البصر وتتبع الجمال وبهجة الحياة» (الجارد، 2010، ص. 73).

يُفصح هذا المشهد عن المعاناة والعنف اللذين تعيشهما الشخصية الكفيفة في المكان/النزل المكان الذي عُزلت فيه؛ لكون المعاناة النفسية صادرة من عنف المكان/النزل، من خلال بوح الكفيف بالمرارة والحسرة التي يشعر بها في هذا المكان، فالكفيف يشعر بالكآبة والحزن نتيجة الأوامر الصارمة، فـ«النُزل يضبط كل حركة وسكنة، النوم، واليقظة، والاستحمام، وتفريش الأسنان. بل حتى زمن تناول الوجبة وفق وقت محدد»، وأي خطأ يقع فيه الكفيف أو زلل فإن «العقوبات تطال الجميع إن أخفق في تطبيق النظام فلا هوادة»، يتحسر الكفيف على ذاته فهو واقع «تحت سطوة السلطة الشاملة»، ويصور هذا المشهد أيضًا عدائية المكان/النزل لهم وكأنهم مسلوبو الحرية في سجن «هنا تسجن ولا تعلم ما الجرم». ويستمر حديث الشخصية الكفيفة في هذا المشهد للكشف عن معالم شخصية تحولت وتغيرت من شخصية متألمة ومتحسرة على نفسها إلى شخصية متسائلة عن الذنب والجرم الذي اقترفته لتوضع في هذا السجن/النزل، تحاول الحصول على معنى واضح لحياتها «أليس هذا سجن؟ وما الفرق بينه وبين السجن؟ هنا بين النزل والمعهد توأد الطفولة!!، إن مثل هذا الشعور المتحسر، أفرز مشهدًا نفسيًا مأزومًا وحزينًا في آنٍ؛ فقد أسهم ذلك كله في صنع مكون نفسي لشخصية متشظية، كئيبة، ومنفعلة من واقعها.

وترصد الشخصية الكفيفة على امتداد الرواية العزلةَ التي وضعت فيها من خلال عنف المكان تجاهها، فتبوح بمعاناتها من واقعها المرّ، «المبنى الجديد... لا نغادر المبنى... حيواتنا تحت

إقامة جبرية محكمة!!!... هنا لا تتسلل أصوات المساء من نافذة غرفتي. بائع الآيس كريم والخضار والبسبوسة، ولا الرائحة الشهية التي تسابق عربية البطاطا والبليلة. صحيح لم يسمح لنا ولو لمرة واحدة بأن نبتاع منهم، ولكن كنا مع الناس، كنا في حارة... حين ننفرد بفرشنا في الليل وخاصة ليل الشتاء الطويل يعلو صراخ الريح، ويجول بين الردهات المقفرة نباح الكلاب الشاردة ويفزعنا هدير السيارات المسافرة» (الجارد، 2010، ص. 79).

كشف هذا المشهد السردي عن شخصية كفيفة مأزومة، متحسرة، حزينة، على فقدها حريتها؛ لعزلها في هذا المكان/النزل الذي حرمها حرية الحياة «في حارة»، حرية ومتعة استماع حركة الحياة من حولها، «بائع الآيس كريم والخضار والبسبوسة، ولا الرائحة الشهية التي تسابق عربية البطاطا والبليلة»، فقد أحكموا عزلتهم في هذا المبنى الجديد، «حيواتنا تحت إقامة جبرية محكمة!!!» فالشخصية الكفيفة موجوعة منفعلة، رسمت المكان/النزل بتفاصيله كافةً لتصور الواقع الوحشي، «حين ننفرد بفرشنا في الليل وخاصة ليل الشتاء الطويل يعلو صراخ الريح، ويجول بين الردهات المقفرة نباح الكلاب الشاردة ويفزعنا هدير السيارات المسافرة»، كما أن وعي الشخصية الكفيفة بتأزمها يظهر من تحديد ليل الشتاء؛ لأنه بسبب طوله كفيل بترسيخ معاناة العزلة التامة التي هي فيها، وعنف المكان/النزل الذي انغلق عليها فلا تغادره إطلاقًا.

ويَظهر عنف المكان/النُزل من خلال تعامله مع هؤلاء المكفوفين، فهو يسلب منهم أبسط حقوقهم: حق اختيار طعامهم واستمتاعهم به، ومناداتهم بأسمائهم، فيُختزَل الكفيف برقم، ولا يعرف إلا برقم؛ لذلك يحضر حديث الشخصية الكفيفة في الرواية وعليه مسحة من القهر والانكسار، «حضرت صينية الطعام. لم أتناول منها سوى السلطة وإدام الكوسة الذي تحول لما يشبه الحساء ليكفي هذا النزل، فسياسة النزل الرشيدة تقتضي أن يتناول الجميع نفس الصنف ولا شأن لهم برغباتك الخاصة» (الجارد، 2010، ص. 60)، «يا أولاد من سيغادر غدًا؟... تحلقوا حول مكتب العميد، كل منهم يهز بين أصابعه خاتمه النحاسي المرقوم باسمه» (الجارد، 2010، ص. 61)، «الكل مترقب .. من عليه الدور؟ ليخفق في اختبار النظافة العامة! لعلع غناء العميد: س11/5/ تقدم زميل هزيل بارز العظم. أنا يا أستاذ. تعال أشوف أظافرك وأشم شعرك.. يا وسخ... يا نايم أنت وهو س2/5/؟... هذا النُزل يختزلنا إلى رقم بين سجلات الأسر فلا نُعرف إلا به هو دليل وجودنا، هو الوسم الذي يفرق به بين إنسان وآخر» (الجارد، 2010، ص. 72-73). تتوالى هذه المشاهد في النص السردي تواليًا يصوّر عدائية وعنف المكان/النُزل، وتتبدى هذه العدائية والعنف في إحالات متفرقة على «النُزل»، وتوثق هذه المشاهد الصراع بين الشخصية الكفيفة/والنزل، هذا الصراع يشكل الواقع المأزوم الذي يسم علاقة الشخصية الكفيفة بالمكان/النزل؛ فتشكّل تعامل المكان مع الشخصية الكفيفة بالعنف، والسلطة، والسيطرة من خلال سحب أبسط الحقوق منها في الأكل «فسياسة النزل الرشيدة تقتضي أن يتناول الجميع نفس الصنف ولا شأن لهم برغباتك الخاصة»، وحتى الاسم الذي يتحول إلى رقم يعرف به «هذا النُزل يختزلنا إلى رقم بين سجلات الأسر فلا نُعرف إلا به هو دليل وجودنا»، باختزالهم إلى أرقام يوسمون بها جعلوهم يشعرون أنهم حيوانات؛ لأن الذي يوسم هو الحيوان «الوسم الذي يفرق به بين إنسان وآخر».

تناول الروائي في هذه المشاهد التحول الذي يجتاح الكفيف من حياة مجتمعية هانئة متألفة إلى عزلة قسرية جبرية في النُزل «لم ندخل الدير باختيارنا»، فبدل أن يعيشوا في بيئة مماثلة لبيئتهم، حيثُ الألفة والاستقرار والأمان، عاشوا عنف المكان/النزل، والحسرة والألم؛ «أودّع منزلي وتطوف بذاكرتي كل المشاهد من حولي. مدخل بيتنا الدعاسة الرمادية الناعمة، والقطة... أغرق يدي في حوض سمك الزينة. كم هو محظوظ! على الرغم من حبسه يعيش داخل الماء وبين شعبان المرجان في بيئة تحاكي بيئته الأصلية... أما أنا أتجرع حسرتي... أتشظى بين الحياة في بيتنا وتعاسة ذلك النُزل اللعين... ينبجس من عيني دمع حار ومرّ ويتراءى لي لحظة مغادرتي للنُزل يوم الأربعاء... ذكرياتي وحرقتي تطوح برأسي، تهدني، تسلمني للإرهاق والتعب، أبيت ليلة السبت لاعنًا النُزل ومن فيه» (الجارد، 2010، ص. 103-105).

تتحسر الشخصية الكفيفة على حالها في هذا المكان العنيف/النُزل، إلى درجة أنْ وصل بها الحال أن تغبط سمكة الزينة، فعلم الرغم من الحبس الذي تعيشه في هذا الحوض الصغير إلا أنها في بيئة مشابهة لبيئته، أما هو يعيش الحزن والمرارة والألم، وينفجر دمعه «ينبجس من عيني دمع حار مر» لحظة مغادرته البيت إلى هذا المكان/النزل، ليؤكد العزلة والأزمة والواقع المر الذي يعيشه.

إن نقل الروائي «لحديث محكي؛ تحت شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول، كاللغة والشخصيات، والزمان، والمكان، والحدث، يربط بينها طائفة من التقنيات، كالسرد، والوصف، والحبكة، والصراع؛ وهي سيرة تشبه التركيب بالقياس إلى المصور السينمائي؛ بحيث تظهر هذه الشخصيات من أجل أن تتصارع طورًا، وتتحاب طورًا آخر؛ لينتهي بها النص إلى نهاية مرسومة بدقة متناهية، وعناية شديدة» (مرتاض، 1998).

التمرد على السلطة والخروج من العزلة

يتجلى الخروج من العزلة من خلال التمرد على السلطة؛ إذ تمارس الشخصية الكفيفة بصورة جلية التمرد على السلطة، وترصد انفعالاتها، ومشاعرها في علاقتها مع ذاتها ومع الآخر في آنٍ، كما تشارك في تنامي الحدث في المحكي السردي وحيويته، وتقدم صورة للشخصية المأزومة المبعثرة من واقع مؤلم كئيب تعيش فيه قسري؛ لهذا تحاول الشخصية المكفوفة الرسم في

هذا الوجود المليء بضجر الحياة وقسوتها ولعناتها المتتابعة، من تأثيث الظلام والعتمة والسواد في أكثر من وجهة، وفي أكثر من مكان، إنها رغبة الشخصيات المصابة بالعمى في كشف الحقائق الباطنية وأنها استطاعت أن تتفوق على نقص غيرها في لمس الأحاسيس والمشاعر، والأصوات، والروائح وتمييزها والإحساس العميق بقداستها، والرغبة من خلالها في رسم الخلاص والتمرد والانطلاق في حرية لا تحدها سلوكيات المبصرين ولا أمكنتهم الضيقة (جريدي، 2013).

تلجأ الشخصية المكفوفة للتمرد والخروج من عزلتها باستخدام عقلها وذكائها، وكشف ألاعيب الآخرين المختلفين في النزل وفضح مخططاتهم، على الرغم من أنهم يمثلون أعلى سلطة في النزل، فالكفيف، وإن كان أعمى البصر، ليس أعمى البصيرة، وهذا دليل على عدم عجز الشخصية الكفيفة. فتعلن شخصية الكفيف من خلال تمردها على النزل أن العجز الحقيقي هو حماقة الآخر المختلف وليس الكفيف، وقد أثبتت ذلك في عدة مواقف حينما فضحت حماقة وغباء القائمين عليهم في النُزل على الرغم من أنهم مبصرون؛ وذلك بسبب الوعي بالحياة التي أجبروا على السير في نظامها، هذا الوعي المفضي إلى الخوف، والخوف المفضي إلى المعاناة، والذي انتهى برغبة التحرر وكسر القيود الاجتماعية والنفسية والخروج من العزلة، «كل صباح تغص ردهة النُزل بالعمي المنتظرين الباص الأصفر... مع شروق الشمس يزجر الباص الأصفر الكبير بطرف الحارة، معلنًا بدء مسيرة العمي يتدافعون متتبعين صوت المحرك ويتسلل البعض إلى بقالة العم دويخل الذي يبيع ساندويتشات البيض المسلوق. ينادي سائق الباص «بسرعة يا ولد عجل» متوعدًا أن يخبر الإدارة. هذا هو الوقت الوحيد الذي نختلسه لنسرق حريتنا. فيه نتحرر من المراقبة الدائمة. فتعلو صيحاتنا، غناؤنا، صفقاتنا، صفيرنا، إنه مهرجان الحرية الصاخب» (الجارد، 2010، ص. 51)، «من يجد في نفسه الشجاعة فيشتري أو يسرق والعم دويخل كان يبتسم ويفوتها للعمي» (الجارد، 2010، ص. 54). ترسم الشخصية الكفيفة في هذه المشاهد المتتالية صورة من صور التمرد على السلطة والخروج من العزلة؛ حيثُ الوقت الوحيد الذي يشعرون فيه بالحرية هو المسافة الصغيرة من باب النُزل إلى بقالة «العم دويخل» والعودة من البقالة للنُزل، «هذا هو الوقت الوحيد الذي نختلسه لنسرق حريتنا».

تواصل الشخصية الكفيفة في هذه المشاهد الكشف عن معالم التحول الذي انتابها؛ حيثُ تحولت الذات/الشخصية الكفيفة من ذات تخاف وتستجدي وتطلب وتأمل الحصول على الانتماء والأمان، إلى ذات شجاعة «من يجد في نفسه الشجاعة»، فالذات/الكفيفة في هذه المشاهد في حال من الانفعال تحاول أن تأخذ حقها بالإكراه والشجاعة والإقدام؛ لذلك صوّرها بقوله: عندما «نتحرر من المراقبة الدائمة» تطغى علينا مشاعر الحرية «فتعلو صيحاتنا، غناؤنا، صفقاتنا، صفيرنا، إنه مهرجان الحرية الصاخب».

تبحث الذات/الكفيفة عن كل ما يمكن أن يخرجها من دائرة التسلط الذي تعيشه في العزلة القسرية، الأمر الذي أفرز شخصية تفكر وتدبر وتبحث عن حلول لأي مشكلة تواجهها في هذا السجن/النُزل؛ «فسياسة النزل الرشيدة تقتضي أن يتناول الجميع نفس الصنف ولا شأن لهم برغباتك الخاصة، من هنا نشأ بيننا نظام تجاري غذائي يرتكز على مقايضة الطعام، أنا لا أحب السمك أقايض به شخصًا آخر ليعطيني بالغد نصيبه من الدجاج وهكذا» (الجارد، 2010، ص. 60).

يرصد هذا المشهد مظهرًا من مظاهر التمرد على السلطة بالولوج إلى بواطن المعضلة والمشكلة التي تواجهها شخصية الكفيف؛ لأن سياسة النُزل ونظامه يسريان على الجميع ولا يمكن الإخلال بهما، كانت المعضلة «أن يتناول الجميع نفس الصنف ولا شأن لهم برغباتك الخاصة»، لكن شخصيات الأكفّاء بفطنة وبصيرة استطاعت التحايل على السلطة وإيجاد حل للمشكلة التي يواجهونها: «نشأ بيننا نظام تجاري غذائي يرتكز على مقايضة الطعام». وتستمر شخصية الكفيف بمواجهة السلطة والتمرد عليها؛ لتخرج من العزلة التي أُحكمت عليها، فتقف على ملامح انفعال شخصية الكفيف وصراعها مع نفسها ومع السلطة، في محاولة منها فضح السلطة العليا في النُزل، والتقليل من شأنهم، فتتّحد شخصيات الأكفّاء مع نفسها لتصنع لنفسها الأحلام والآمال، ولا يكون ذلك إلا بأن «نعلن العصيان. بصوت ملأه الدهشة ماذا؟! العصيان! -نعم العصيان على النظام، هنا كل شيء ممنوع ويتحججون بالنظام. ما هو النظام. هل من حكمة النظام حجر إنسان بين سريره ودولابه. أما يكفيهم أننا موثقون لقيدين لا انعتاق منهما. الأول مظلم. والآخر النُزل الشره، الذي لا يتورع عن وضع الملح فوق الجرح النازف حتى لا يخمد لهيبه. هؤلاء العمداء يسعون بجد لتحويلنا إلى كراسي ساكنة، تمضي عمرها جالسة تنتظر أحدًا ما ليحركها إن هذا النظام يستمد قوته من جهلنا به. فهو يطبق على المغفلين ولا يحميهم» (الجارد، 2010، ص. 83).

عكس هذا الوعي بالواقع المأزوم صورة لذواتٍ مأزومة تعيش واقعًا مؤلمًا كفيفًا حزينًا «أما يكفيهم أننا موثقون لقيدين لا انعتاق منهما»، ويرسم حوار شخصيات الأكفّاء فيما بينها صراعًا يمثله التمرد على السلطة؛ من أجل الخروج من العزلة، فالحوار ينبئ عن حديث مستقبلي، ويكشف في الوقت نفسه انفعال ذوات الأكفّاء على سلطة النظام في النُزل، الأمر الذي أفرز شخصيات غاضبة وثائرة وخائفة في آن «هؤلاء العمداء يسعون بجد لتحويلنا إلى كراسي ساكنة، تمضي عمرها جالسة تنتظر أحدًا ما ليحركها إن هذا النظام يستمد قوته من جهلنا».

ويتجلى التمرد على السلطة من أجل الخروج من العزلة القسرية، في بوح شخصيات الأكفّاء عن مشاعرها، ومعاناتها تجاه واقعها المر الذي تعانيه من نظام النُزل القاسي المُهين المقلّل من شأنهم، وذلك عندما واجه «العميان» مدير النُزل، ووقفوا بوجهه

وطالبوا بحقوقهم؛ «صحيح أن الأكل لا يجوز رميه ولكن أعرف السبب! أيرضيك أن تجد بين حبات الأرز خيطًا أو شعرًا؟! أم يرضيك أن تجد بقية أظفر في صحن السلطة؟! أم يرضيك أن يقدم لك الطعام باردًا ويزعم المتعهد أنه يقدمه أكلًا فاخرًا! أم يرضيك أن المعلمين يجتمعون كل مساء ثلاثاء ثم يتناولون أكوام الأرز واللحم المندي. لماذا لا تعاقب العمداء الذين يلجؤون تلك الليلة بتعجيل وقت العشاء ويُصعدوننا للأعلى ثم يقيمون علينا اثنين حتى يفرغ بقية العقبان من وليمتهم ويا ويل الذي يتحرك من عنبره... قال: ما الحل يا أبنائي؟ بلهجة لا تخلو من لطف ماكر.. الحل يا مدير بعد إذنك هو مطلب واحد، هو أننا أسوة بالعمداء، كل ثلاثاء نحضر عشاء على حسابنا الخاص» (الجارد، 2010، ص. 94).

لقد كشف هذا الحوار في هذا المشهد السردي عن شخصيات مأزومة، ومتحسرة على نفسها، وغاضبة من الآخر؛ لاستنقاصهم وتحقيرهم، فهم وإن كانوا فاقدين للبصر، ليسوا فاقدين للبصيرة والفهم والاستيعاب حتى يعاملوا بالإذلال والإهانة والاستنقاص «أيرضيك أن تجد بين حبات الأرز خيطًا أو شعرًا؟! أم يرضيك أن تجد بقية أظفر في صحن السلطة؟! أم يرضيك أن يقدم لك الطعام باردًا ويزعم المتعهد أنه يقدمه أكلًا فاخرًا!».

انطلق هذا المشهد من أسلوب الاستفهام «أيرضيك» الذي جاء مكررا أربع مرات؛ للاستنكار، وليؤكد في كل مرة استنكار تقديم الطعام لهم بهذه الصورة التي لا يرضاها «المدير» لنفسه؛ لذلك حضرت شخصيات الأكفّاء متألمة ملتاعة مقهورة مضطهدة، تصهر ذاتها بعبارات مكرورة من شأنها أن ترسخ المعاناة والأزمة التي هي فيها «أيرضيك أن تجد بين حبات الأرز... أم يرضيك أن تجد بقية أظفر... أم يرضيك أن يقدم لك... أم يرضيك أن المعلمين»، كل ذلك أسهم في صنع مكون نفسي متألم متشظٍّ منفعل، تحاول التمرد على واقعها الكئيب المضطرب والخروج من العزلة بالتمسك بعصيانها وعدم التقهقر والرجوع؛ للحصول على النتيجة المرجوة من هذا العصيان، وهو ما حصلوا عليه عندما تجاوب معهم «المدير» بعدما تيقن من نفاذ بصيرتهم «قال: ما الحل يا أبنائي؟ بلهجة لا تخلو من لطف ماكر.. الحل يا مدير بعد إذنك هو مطلب واحد، هو أننا أسوة بالعمداء، كل ثلاثاء نحضر عشاء على حسابنا الخاص». تعيش شخصيات الأكفّاء في النُزل واقع مؤلم، تعيس، اضطرتها الحياة المأزومة التي تعيشها أن تعلن العصيان والتمرد على السلطة لتخرج من العزلة؛ لذلك «نجح العصيان حيثُ أُخرجنا بالمساء من عنابرنا للفناء، منتزعين سويعات الفرح في فوضى خلاّقة» (الجارد، 2010، ص. 86).

تتأمل شخصيات الأكفّاء حياتها بتفاصيلها كلها؛ فتنظر إلى حال الوعي الذي وصلت إليه، من خلال التحول الذي حدث لها من بداية دخولها إلى أول عتبة من عتبات «نُزل الظلام»، حيثُ العزلة القسرية، وسلب الحقوق، ونظام النزل/نظام السجن، الذي شحن شخصيات المكفوفين بالانكسار والشعور بالتهميش والإقصاء، الأمر الذي حرّضهم على التمرد على السلطة للخروج من العزلة، من خلال نفاذ بصيرتهم وكشف ألاعيب أعلى سلطة في النُزل، وفضح مخططاتهم؛ «»في تلك الليالي الطويلة يستمع محمد إلى محطة الراديو المفضلة لديه. وإبراهيم يستغرق في تدبير سُبل تخطف من الإدارة ما يخفف عنا سطوة هذا الحبس اللعين. وأنا يكابدني الأرق فتحلق بي أحلامي الساهرة بين الشوارع وعطفات بعيدة (الجارد، 2010، ص. 103) «نحن رهبان العتمة الثلاثة اكتسبنا مهارة في تدبير أمورنا، وكسر الأنظمة، والمراوغة والالتفاف حول النظام، والاحتيال على العمداء» (الجارد، 2010، ص. 108). فالذي أفرز هذه المشاهد لدى شخصيات الأكفّاء هو الواقع المأزوم الذي تعيشه، والحسرة على حياتها وأيامها التي تنساب منها دون الشعور بالحياة والاستمتاع بها على مر الأطوار لها، فما كان منها إلا يدبروا أمورهم بأنفسهم، ويتحدوا السلطة، ويواجهوها، ويتصدوا لها، فهي تهدف إلى «الإفصاح عما يريدون قوله، وإيضاح موقفهم من الحياة والناس أي تجسيد رؤيتهم أو فلسفتهم في الحياة» (الماضي، 2015).

خاتمة

وهكذا، تبين في ختام هذا البحث الذي تناول نصًا من أدب العزلة، موقف المجتمع والآخر من فئة مهمشة منبوذة، لا نعلم عن عالمهم أو علاقاتهم الكثير، هي فئة «المكفوفين»، الذين مورس عليهم أشد أنواع القسوة والتسلط، هذا التسلط والعنف من المجتمع والآخر جعل من ثيمة «العزلة» ثيمة رئيسة في المنجز السردي رواية «نُزل الظلام» موضوع البحث والدراسة.

وأظهر البحث أن العزلة التي وقعت على «المكفوفين» هي عزلة جبرية قسرية، تختلف عن العزلة بقصد «الخلوة» التي تكون عزلة اختيارية محببة للنفس، فقد عُزلوا عزلًا جبريًّا قسريًّا؛ بسبب إصابتهم بمرض «العمى»، وكأنهم فعلوا جرمًا استوجب عزلهم في مكان من المفترض أن يكون هو الحاضن والمستقبل لهم، ولكن الأمر بدا عكس ذلك، فكان مكان/النُزل «معهد النور للمكفوفين» مكانًا للقسوة، ومورست فيه عليهم أشد أنواع العنف والتسلط، فأفضى بهم إلى نتيجة حتمية هي التمرد وكسر القيود والخروج من العزلة القسرية بنفاذ بصيرتهم وذكائهم على المبصرين في المعهد.

المراجع:

ابن منظور، جمال الدين بن محمد. (1999). لسان العرب. (ج11). دار صادر.

أبو هيف، عبد الله. (2002). المسرح العربي المعاصر قضايا ورؤى وتجارب. منشورات اتحاد الكتاب العرب.

البشير، بختي. (2023). نظرات في العزلة بين الأدب والفلسفة. *مجلة جسور المعرفة*، 9(2)، 623-633.

الجارد، ماجد. (2010). نُزل الظلام. (ط1). مؤسسة دار الانتشار العربي.

الجبرين، أمينة. (2024). الرواية السعودية ومظاهر التحول مقاربات في السرد. دار كلمات للنشر والتوزيع، 195.

الحارثي، هلالة. (2018). الشخصية المركبة في الرواية السعودية: شخصية الأعمى في رواية مزل الظلام أنموذجًا. *مجلة جامعة الملك عبد العزيز*، 26(1)، 121-139.

الشنطي، محمد صالح. (2004). الرواية العربية. (ط1). دار الأندلس.

الطالب، عمر محمد. (2000). عزف على وتر النص الشعري. منشورات اتحاد الكتّاب العرب.

الماضي، شكري. (2015). فنون النثر العربي الحديث. (ط1). منشورات جامعة القدس المفتوحة.

المفرح، حصة. (2017). عتبات النص في نماذج من الرواية في الجزيرة العربية. دار الانتشار العربي.

إمبرت، إنريك أندرسون. (1412هـ/1991م). مناهج النقد الأدبي، ترجمة: الطاهر أحمد مكي. مكتبة الآداب.

باشلار، غاستون. (1984). جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا. (ط2). الجامعة العربية للدراسات.

بحراوي، حسن. (1990). بنية الشكل الروائي: الفضاء–الزمن–الشخصية. المركز الثقافي العربي في بيروت.

برادة، محمد. (1996). أسئلة الرواية أسئلة النقد. مؤسسة الرابط.

برديائف، نيقولاي. (1960). العزلة والمجتمع، ترجمة: فؤاد كامل عبد العزيز. (ط1). مكتبة النهضة المصرية.

برنس، جيرالد. (2003). المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار. (ط1). المجلس الأعلى للثقافة.

جريدي، سامي. (2013). مقال بعنوان: العمى واللون في رواية (نزل الظلام). جريدة الحياة.

حبار، مختار. (2002). شعر أبي مدين التلمساني (الرؤيا والتشكيل). منشورات اتحاد الكتاب العرب.

حمزة، مختار. (1956). سيكولوجية المرضى وذوي العاهات. دار المعارف.

سعيد، بنكراد. (2000). المونولوج الداخلي في موسم الهجرة إلى الشمال. مجلة علامات، (14)، 69-77.

عبيدي، مهدي. (2011). جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه. (ط1). منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

عمر، أحمد مختار. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. (ط1). عالم الكتب.

عيسى، محمد. (2003). القراءة النفسية للنص الأدبي العربي. *مجلة جامعة دمشق*، 19(2)، 15-72.

كورمو، نيللي. (1954). فيزيولوجية القصة. *مجلة الآداب*، 73-81.

لحميداني، حميد. (1990). سحر الموضوع عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر. منشورات دار فال.

مجمع اللغة العربية. (2004). المعجم الوسيط. (ط4). مكتبة الشروق الدولية.

محبك، أحمد زياد. (2001). دراسات نقدية من الأسطورة إلى القصة القصيرة. (ط1). دار علاء الدين.

مرتاض، عبدالملك. (1998). في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

موزون، سعيد. (2015). بنية المونولوج في رواية لحظات لا غير، *المجلة الثقافية*، 34-37.

هلال، محمد غنيمي. (1973). النقد الأدبي الحديث. دار الثقافة، 520.

Al-Harithi, H. (2018). Al-shakhsiyya al-murakkaba fi al-riwaya al-sa‘udiyya: Shakhsiyya al-a‘ma fi riwayat «Nozol aldhalam» namudhajan (in Arabic). *Majallat Jamiʿat al-Malik ʿAbdulaziz,* 26(1), 121139-.

El-Bachir, B. (2023). Nazrat fi al-‘uzla bayn al-adab wa al-falsafa (in Arabic). Jasoor al-Ma‘rifa, 9(2), 623633-.

Isa, M. (2003). Al-qira’a al-nafsiyya lil-nass al-adabi al-‘arabi (in Arabic). *Majallat Jamiʿat Dimashq,* 19(2), 1572-.

Jreidi, S. (2013, August 6). Al-‘ama wa al-lawn fi riwayat (Nozol aldhalam) (in Arabic). Al-Hayat.

Kourmo, N. (1954, January). Fiziologiyat al-qissa (in Arabic). *Majallat al-Adab, Beirut,* 7381-.

Mouzon, S. (2015). Buniyat al-monolog fi riwayat «Lahzat la ghayr» (in Arabic). Al-*Majalla al-Thaqafiyya, Tangier,* 3437-.

Sa›id, B. (2000). Al-monolog al-dakhili fi Mawsim al-hijra ila al-shamal (in Arabic). ‘Alamat, (14), 6977-.

Journal of Human Sciences
At Hail University

جامعة حائل
University of Ha'il

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

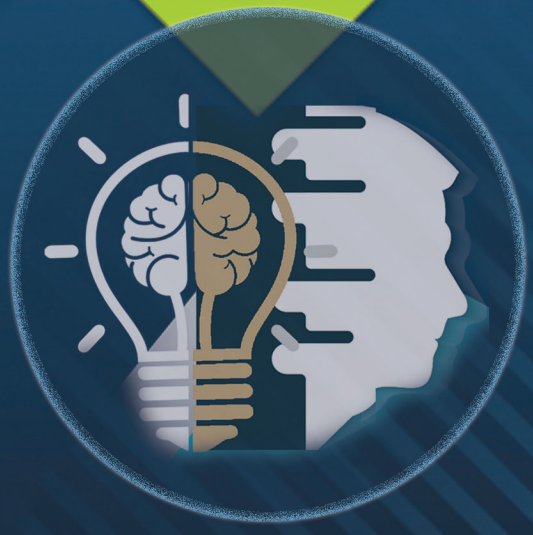

Eighth year, Issue 25
Volume 1, March 2025

Arcif Analytics

Print 1658 -788 X
Online E- 8819-1658